

**مجندون جزائريون في الجيش الفرنسي
بين الإكراهات القانونية والحاجات الاقتصادية**
د. الطاهر سيقاق - جامعة الوادي
Sebgag-tahar@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2020/03/19 تاريخ القبول: 2021/04/30

**Algerians in French military troops
Between legal obligations and economic needs**

الملخص:

استغلت فرنسا ما تركه الجيش العثماني من تنظيمات عسكرية وشبه عسكرية، كما استغلت انخفاض مستوى المعيشة والفقر المنتشر فاستدرجت بعض الجزائريين وأجبرت البعض الآخر على الانخراط في صفوف الجيش الفرنسي مقابل مبلغ معلوم اعتبره بعضهم طوق نجاة من اليأس و التعاسة، ثم قننت عملية التجنيد ليصبح واجبا على الجزائريين أدائه تحت العلم الفرنسي. أثار قانون التجنيد الإجباري موجة من ردود الأفعال لدى السياسيين والعسكريين، لدى الفرنسيين في الوطن "الأم" ولدى المعمرين الفرنسيين والأوروبيين في الجزائر، وأيضاً لدى الجزائريين كنخبة أو عموم الشعب، فالمؤيدين اعتبروه مكسبا عظيما للاستفادة من القدرات القتالية للجزائريين، ومصدر مالي ضخمة للخرينة الفرنسية وحماية لأرواح الشباب الفرنسي. بعض الجزائريين اعتبروه مصدرا للاستنزاق وفقط، أما المعارضون من الفرنسيين كانوا يخشون انتزاع المجند الجزائري لحقوق المواطنة الفرنسية المترتبة عن أداء الخدمة العسكرية كواجب وطني فيتساوى بذلك مع المواطن الفرنسي، والمعارضون من الجزائريين اعتبروه ظلما ورفضوه وعبروا عن ذلك بشتى الأشكال قبل وأثناء الخدمة لكن فرنسا كانت الأقوى فجندت بالقوة وكملت أفواه عائلاتهم الرافضة.

الكلمات المفتاحية: التجنيد؛ الجيش الفرنسي؛ ميسيمي؛ الجزائر؛ فرنسا .

Abstract:

The French colonial system benefited of military and paramilitary organizations left by the Ottoman army, also it benefited of weak and low standard of living and widespread poverty. It also lured some Algerians and forced others to join ranks of the French army for a determinate wage, and then legalized the recruitment process to become a duty that Algerians must perform under French flag. Recruitment law triggered a lot of reactions among politicians and the militarians, among French and Algerians so. Supporters considered recruitment of Algerians into the French army was great advantage as human power and huge financial revenues for the French treasury. Some Algerians consider military service as a source of livelihood only. For certain opponents, including Algerian recruiter in the French army, generate rights of French citizenship resulting from the performance of the military service as a national duty; finally the colonial administration was the strongest.

Keywords: recruitment- military – troops – army – war.

مقدمة:

ليس غريبا أن تستمر فرنسا في إيلاء عناية خاصة للجانب العسكري عند دخولها أرض الجزائر لأن الأداة التي مكنتها من بسط نفوذها على البلاد هي بلا شك القوة العسكرية التي طبعت الحملة الفرنسية على الجزائر منذ البداية.

لم تكثف فرنسا بذلك عند الدخول فقط بل استمرت في فرض هيمنتها بالاعتماد على الأسلوب العسكري لأجل تثبيت إقدامها في العاصمة أولا ثم في توسعاتها الداخلية لاحقا.

تتمحور إشكالية المعالجة هنا فيما يلي: ما دواعي إعادة توظيف أو تطوير فرق عسكرية أو شبه عسكرية خلفها العثمانيون أو إنشاء فرق عسكرية تؤدي نفس الأدوار أو أدوار مشابهة؟ وهل نجحت الإدارة الاستعمارية في تحقيق أهدافها؟ لماذا التحق بعض الجزائريين بالجيش الاستعماري الفرنسي؟ ولماذا رفض البعض الآخر؟

من الشائع إن الإدارة الاستعمارية الفرنسية أنشأت منذ بداية الاحتلال فرقا عسكرية قوامها المحليين من السكان بحكم درايتهم بطبيعة البلاد و ذهنية العباد، دأبت في ذلك على ما فعله العثمانيون منذ بداية القرن 16 اثر دخولهم الجزائر، علاوة على ذلك ادخل الفرنسيون على تلك الفرق فيما بعد تغييرات مختلفة تعلقت بشكل التنظيم وتعداد أفرادهم وتركيباتهم و تخصصهم وسلاح تخصصهم أو مكان العمل، وذلك وفقا لما تقتضيه هياكل الجيش الفرنسي ومتطلبات العمل العسكري الثابت منها و الطارئ و انسجاما مع الإستراتيجية العامة المرسومة له. وجدير بالملاحظة أن تقنين عملية التجنيد في القرن التاسع عشر شملت فقط المجندين طوعية وبعد نهاية العقد الأول من القرن العشرين تم تقنين التجنيد الإجباري عن طريق الاستدعاء المباشر والذي سيكون الصيغة الثانية الموازية للتجنيد الطوعي.

أنشأت الإدارة الاستعمارية تنظيمات متنوعة امتازت بالتداخل والترابط، بعضها دائم والبعض الآخر مؤقت، بعضها مستقل و آخر مختلط بالنسبة للسلاح (مشاة، خيالة، مدفعية...الخ)، او مختلط في تركيبته البشرية (فرنسيين، اوروبيين عامة، أفارقة (خصوصا من غرب إفريقيا و إفريقيا جنوب الصحراء) و آسيويين و مغاربة (من بلدان المغرب العربي الثلاث)، كما أنشئت فرق ضمت توليفات متعددة من العناصر المذكورة آنفا و أخرى تضم كل العناصر.

وفق مقارنة تعتمد الوصف و التحليل و المقاربة سوف اقتصر في هذه الورقة - مع مراعاة التسلسل الزمني - على تناول ثلاث فرق انتسب لها الجزائريون، وبفضلهم برزت تلك الفرق ضمن الجيش الفرنسي وجعلته ذو شهرة ومهابة وحققت له مكاسب ومغانم كثيرة

بفضل أدائها الحربية في ساحات القتال، وفي السياق ذاته سأسير إلى باقي الفرق والتنظيمات الأخرى بقليل من التفصيل.

1- أهم الفرق العسكرية الفرنسية:

أ- فرق الزواوة Zouaves (الزواف)

استغلت فرنسا خبرة وجاهزية بعض القبائل التي عملت سابقا مع العثمانيين، للاستعانة بهم في بسط نفوذها والتوسع انطلاقا من العاصمة الجزائر تجاه باقي المناطق الداخلية، من أبرز هذه القبائل قبيلة «الزواوة» (الزواوي أبو يعلى، 2005: 90-100). لما احتل الفرنسيون أرض الجزائر وتولى الكونت دي بورمون زمام الحكم اعتمد على هؤلاء الزواويين بحكم درايتهم بجغرافية البلاد و طبائع العباد، وذلك بتشجيع من قائد شرطته دوبييوس الذي اتصل بقائد الزواوة عاجي ابراشمان كيني حسب بجاوي (بجاوي محمد، 2005: 50) و ابراهام كيني حسب كلايتون (Anthony Clayton, 1994: 245) يوم 12 أوت 1830 وهياً له لقاء مع دي بورمون، انتهى باتفاق على قبول هؤلاء الخدمة تحت العلم الفرنسي، سارع بعدها دي بورمون إلى مراسلة وزير الحرب الفرنسي شارحا له ما ستجنيه فرنسا من وراء هذا الاتفاق من تقليص في عدد الجنود والمصاريف في آن واحد. سرعان ما تم عزل الكونت دي بورمون واستخلفه كلوزيل الذي استمر في تنفيذ نفس المشروع فأنشأ فيلقين من الزواوة يوم 1 أكتوبر 1830، سمّاهم الفرنسيون «الزواف» اشتقاقا من اسم قبيلة الزواوة.

أشرف على تكوين هذين الفيلقين قادة عسكريين فرنسيين مشهورين تركوا بصماتهم في فرق الزواوة أمثال مومي، ودوفيبي وماري مونج وآخرهم و أكثرهم شهرة لاموريسيير.

ب - فرق الصبايحية Spahis

من صلب فرق الزواوة تم إنشاء سريتين أطلق عليهما: القناصة الجزائريون وتم إلحاقهم بقناصة إفريقية، تشكّلت منهم ثلاث ألوية

واحد لكل عمالة (الجزائر، وهران، عنابة)، صار تعدادهم 3402 قنّاص في كامل السلك عام 1835 (بجاوي محمد، 2005: 166) في 7 ديسمبر 1841 تم تحويل كل المجندين الجزائريين في سرايا قناصة إفريقيا إلى سلاح الخيالة، وهم الذين أطلق عليهم الصبايحية R.S.A. وهي فرق عسكرية خيالة أو فرسان من سكان الجزائر منذ العهد العثماني، كان الأتراك يسمون الجندي منهم «سباهي» وجمعهم «السباهية» وتعني سباهي: خيال، حرّفها الفرنسيون «صباهي» واغلب الباحثين فضلوا «صباهي» أما عند عامة الشعب فيقولون «سبايسي وسبايس».

إذا كانت فرق الرماة الجزائريون - التي سأأتي على ذكرها بعد قليل - تنتمي إلى سلك المشاة و سلك الزواوة مختلط (مشاة و خيالة) فإن سلك الصبايحية هو سلك خيالة بالأساس، وإذا كان تنظيم قناصة إفريقيا سليل فرق الزواوة فإن تأسيس فرق الصبايحية تزامن مع نشأة فرق الزواوة. وقد باشرت الفرق الجديدة لفرسان الصبايحية الجزائريين عملها ضمن قناصة إفريقيا وكانت تنقسم إلى ثلاث كتائب هي: كتيبة الصبايحية النظامية الأولى بالجزائر والتي اشرف عليها لاحقا المملوك التونسي الملقب بالجنرال يوسف، والثانية بعنابة و الثالثة بوهران.

و قد عرفت فرق الفرسان بتمردّها الدائم على رؤسائها، خاصة إذا طلبوا من أفرادها القيام بعمل شاق أو طويل المدى، كما تؤكد شهادات أخرى بأنهم غير منضبطين وغريبي الأطوار، فقد عبّروا عن فرحتهم، بعد هزيمة فرنسا أمام بروسيا عام 1870، بأن قاموا بقتل ضباطهم (محمد بجاوي 2005: 173-174).

ج- فرق الرماة الجزائريون Tirailleurs

الى جانب السلك الزواوي المختلط و سلك الصبايحية الخيال، تأسس بموجب أمرية 7 ديسمبر 1841 سلك الرماة الجزائريين للمشاة فقط، تشكل في البداية من ثلاث أفواج واحد لكل مقاطعة وتميّز باعتماد كل فوج على نفسه في التكوين والتموين والقيادة والتنظيم،

كان قوامه الأتراك و الكراغلة ثم توسّع بعد ذلك ليضم مختلف العناصر.

اختار الفرنسيون التوزيع التالي: الفوج الأول : عمالة الجزائر، و الفوج الثاني: عمالة وهران، و الفوج الثالث :عمالة قسنطينة، ويكون التابع في ترقية الأفواج بزيادة العدد أربعة للفوج الأصلي مثلا 1 ثم 5 ثم 9.../ 2 ثم 6 ثم 10.../ 3 ثم 7 ثم 11... وهكذا.

إن الأفواج المذكورة لا تتبع بالضرورة مسمياتها بإطلاق تسمية التونسي على أفواج الرماة لا يعني انه تونسي خالص فهو قد يضم في صفوفه الكثير من الجزائريين والمغاربة و الفوج الجزائري قد يضم مغاربة و تونسيين، كل الاحتمالات التركيبية ممكنة دائما حسب ما تقتضيه الظروف.

استخدم الفرنسيون في بلاد الشام بين 1917- 1941، أثناء عشر فوجا جزائريا و4 أفواج تونسية و ثلاثة مغربية من إجمالي أفواج الرماة المغربية البالغ عددها 29 فوجا في نفس الفترة. عموما تتوزع افواج الرماة الجزائريين عند النشأة كالتالي:

- أفواج الرماة الجزائريون R.T.A (Régiment des Tirailleurs Algériens):

- عمالة الجزائر: الافواج: 1. 5. 9. 13. 17. 21. 25. 29. 33. 37.

- عمالة وهران: الافواج: 2. 6. 10. 14. 18. 22. 26. 30.

- عمالة قسنطينة: الافواج: 3. 7. 11. 15. 19. 23. 27. 31. 35. 39. 43. 47.

د - فرق اخرى:

إلى جانب الفرق المذكورة أعلاه هناك فرق أخرى لا يتسع المجال للتفصيل فيها مثل : الكتائب الصحراوية ومنها سرية شمال افريقية راكبة مختلطة تم توظيفها في سوريا بين 1922-1927 واجهت ببسالة متمردي البدو والأكراد (Anthony Clayton, 1994:350). وهناك فرق القومية وهي فرق عسكرية غير نظامية شاع بأنها مغربية لكنها بدأت جزائرية أصلا ولعبت أدوارا شبيهة بدور الدرك و فرق الاستطلاع.

إلى جانب ذلك وجدت فرق اللفيف الأجنبي التي تفرّع عنها بعد الحرب العالمية الأولى فوج سمّي الفوج الأجنبي للخيالة، شاركت سرية من سراياه الأربع التي كانت متمركزة في مدينة سوسة التونسية

عند التأسيس، في قمع الثورة السورية الكبرى سنة 1925 وكان مصيرها الإبادة التامة من طرف الدروز، وتم بعدها إلحاق سرية راكبة من فوج الخيالة الأجنبي للعمل الدائم في المشرق. يضاف إلى ما سبق فرق أخرى قتالية و خدماتية مساعدة كالمدفعية حيث تشكل فوج مدفعية الليفانت في بلاد الشام في منتصف الثلاثينات حيث 33% من أفرادها جزائريون ، و فرق الهندسة بنوعيتها المدنية و العسكرية والتي مثل الجزائريون 40% من أفرادها، كما تواجد بعض المجندين الجزائريين كأعوان في فرق القطار والنقل ووحدات الإمداد والدرك والإشارة والصحة. وتم إلحاق بعض يهود شمال إفريقيا بوحدات الجيش ك مترجمين بعد الحرب العالمية الأولى (Anthony Clayton, 1994:353-354).

2- الأصول الجغرافية للمجندين

اعتمادا على جغرافية السكان والعوامل المؤثرة في التركز السكاني يمكننا الجزم مسبقا انه خلال الفترة المعنية بالدراسة كان اغلب الجزائريين يتركزون في الشمال والشمال الشرقي تحديدا. بحكم الظروف الطبيعية والاقتصادية المواتية انجذب السكان إلى هذا الإقليم حيث التربة الخصبة و المياه الوفيرة و الثروة الغابية الكثيفة والسواحل البحرية الثرية، كل ذلك خلق حيوية في مختلف النشاطات المرتبطة بالزراعة و الرعي والصيد البحري والحرف المشتركة بينها .

كان أيضا للعوامل التاريخية نصيبها في تفسير كثافة التركز السكاني في ذلك مما جعله حلقة اتصال حضاري بين المغرب والمشرق العربيين عبر التاريخ، وكانت أيضا مرتفعاته ملاذا للذين هجرتهم فرنسا وصادرت أراضيهم الخصبة و طاردت أبنائهم قصد تجنيدهم إجباريا في صفوف الجيش الفرنسي.

رغم تلك المقدرات الطبيعية و البشرية للإقليم إلا أن الإجراءات السياسية والعسكرية و الإدارية و الاجتماعية التي طبقها النظام الاستعماري قلصت من حظوظ السكان المحليين في الاستفادة من خيرات هذا الإقليم، وان حصل ذلك استثناء كانت تلك النشاطات قد تمت في ظروف سيئة و قاسية للغاية و بوسائل بدائية مما ترتب عنه

حصيلة أو مداخل هزيلة جدا، بالكاد تكفي لسد حاجيات السكان، والمحظوظين من السكان من حيث الحيازة و كمية و نوعية المنتجات كانوا حتما من أنصار فرنسا وعملائها المحليين من كبار الملاك .
بناء على هذه التوصيفات هل كانت الظروف مواتية لتجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي من سكان هذا الإقليم؟

حسب العوامل والظروف المذكورة أعلاه يفترض أن يحتل هذا الإقليم- أي الشمال الشرقي أو ما سمي بعمالة قسنطينة- الصدارة في التركيز السكاني وتلقائيا أيضا المقصد أو الوعاء الرئيسي الأول للإدارة الفرنسية في عمليات تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي ثم تأتي بعده باقي المناطق مثل عمالة الجزائر فوهران وفي الأخير هوامش الصحراء. لنرى إن كان ذلك صحيحا على أرض الواقع من خلال تتبع أصول مجندي الفرق الأساسية المذكورة أعلاه.

أ- أصول مجندي فرق الزاوة

إن فرق الزاوة هي نسبة إلى قبائل الزاوة القاطنة بجبال جرجرة، والتي شكّلت العمود الفقري لهذا السلك بمعية القبائل المجاورة أو الموالية لها في نفس المنطقة الجبلية، والشبان المنتمين لها والذين نزلوا إلى الحواضر وخاصة مدينة الجزائر بحثا عن الشغل.

من زاوية أخرى يمكن افتراض تجنيد فرق الزاوة من سكان الجزائر العاصمة وما جاورها وتبعها إداريا مثل البويرة وتيزي وزو و البليدة و المدينة والشلف لأن الاحتلال بدأ بمدينة الجزائر وكان يجب تثبيت السلطة الفرنسية بالعاصمة - وهي القلب النابض للدولة - أولا ثم التوغل في الداخل، ولم يكن ذلك التثبيت ممكنا عمليا دون اللجوء إلى ساكنة المنطقة العارفين بتخطيطها و بتركيبة سكانها وذهنياتهم وعاداتهم، على هذا الأساس من المنطقي ترجيح فرضية تجنيد فرق الزاوة من هذا الإقليم خاصة في البداية، وبلا شك بعد ذلك توسّعت عمليات التجنيد لهذه الفرق تبعا لتوسّع الهيمنة الفرنسية لتشمل باقي سكان المناطق الجزائرية.

إن صدقت فرضية التركيز في التجنيد والانتشار بالشمال لهذه الفرق والتي تعتبر الأولى في نشأتها ضمن مشاة الجيش الإفريقي

الفرنسي في الجزائر فان اسمها ظاهريا يحدد المصدر الجغرافي للمتحمقين بهذا السلك؟

على الرغم من أن التسمية جزائرية إلا إن الأمرية الملكية الصادرة بتاريخ 7 مارس 1833 قد حددت عدد كتائب السلك بعشرة، ثمانية منها أوروبية و اثنتان جزائرية، شريطة وجود 12 جنديا فرنسا في كل كتبية جزائرية (Paul De Ladrière: Sd: 18)، بناء عليه فأغلبية أفراد السلك من الأوربيين، لكن الشائع والمتسبب في شهرته وهيبته ومهارته هي العناصر الجزائرية المنتمية له .

ب- أصول مجندي فرق الصبايحية

تكوّنت فرق الصبايحية ضمن سلاح الخيالة عند بداية الاحتلال الفرنسي من العرب و الأتراك و الكراغلة وبعض فرسان فرق الزواوة من ساكنة ضواحي مدينة الجزائر أو ما كان يسمى بـ« قبائل الفحص»، بالإضافة إلى ذلك كان يتم أيضا تجنيد الصبايحية من أبناء الخيام الكبيرة للعائلات المنتفذة في الهضاب العليا وتخوم الصحراء، وهي العائلات التي تعايشت مع الخيول بل هي تملكها وتحسن ركوبها واستخدامها في الحروب، كما ان فرنسا تعمّدت تجنيد أبناء هذه العائلات لان مقامها الرفيع و امتيازاتها يمنعانها من التفكير في مواجهة فرنسا أو عدم الامتثال لأوامرها، وقد تم تجنيد هؤلاء الفرسان أيضا من أبناء عائلات كبار ملاك الأراضي في الجنوب نظرا لقلّة تواجد المعمرين الأوربيين أي قلّة أو عدم تواجد دواعي الاحتجاج أو الانتفاضة ضد النظام الاستعماري.

لمعرفة وعاء التجنيد الابتدائي لفرق الصبايحية سأكتفي بالتعرّض للأصول الجغرافية للأفواج الثلاث الأولى التي خرجت من صلبها الأفواج اللاحقة وهي: الفوج الصبايحي الجزائري الأول (عمالة الجزائر)، الفوج الصبايحي الجزائري الثاني (عمالة وهران)، الفوج الصبايحي الجزائري الثالث (عمالة قسنطينة):

- الفوج الصبايحي الأول (عمالة الجزائر) أسسه المملوك التونسي يوسف رفقة الضابط الفرنسي ماري مونج بالاعتماد على ساكنة مدينة الجزائر وضواحيها (القليعة، البليدة...) والأصنام (الشلف حاليا)

وجرجرة(تيزي وزو) والمدية، شارك أفراد هذا الفوج في عمليات إخضاع المناطق الداخلية في الجزائر، كما شاركوا خارج الجزائر في قمع الدروز خلال الثورة السورية 1925-1927 التي قادها السلطان باشا الأطرش.

- الفوج الصبايحي الثاني(عمالة وهران) تمّ تجنيد أفرادهم من الشمال و الجنوب الغربي خاصة، وهران وسيدي بلعباس و تلمسان إلى بريزينة و الأبيض سيدي الشيخ في الجنوب الغربي، شارك أفرادهم في المواجهات التي جمعت القوات الفرنسية بجيش الأمير عبد القادر، كما تم إشراك البعض منه في قمع ثورة الأمير عبدالمك بـشمال المغرب، كما كان لهم مشاركات أخرى في أوروبا و آسيا (Sans Auteur:1920:1-18).

- الفوج الصبايحي الثالث(عمالة قسنطينة) اغلب منخرطيه من الشمال و الجنوب الشرقي ضمن المربع الاتي : الطارف- ميلة - الوادي – تقرت، من داخل هذه المدن الأربعة وما يقع بينها مثل: ميلة، سطيف، قسنطينة، تلاغمة، قالمة، سوق أهراس، عين البيضاء، تبسة، باتنة، بسكرة.. الخ، وهي الأماكن نفسها التي اشتغل فيها هذا الفوج، كما استخدم خارج الجزائر عند بداية التوغل الفرنسي في المغرب، وأرسلوا أيضا إلى أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى، كما تنقلت سراياها الثالثة و الثامنة و العاشرة للعمل في بلاد الشام بين 1918 و 1922 (B.Seignol:2016:5-69)

ج- أصول مجندي فرق الرماة الجزائريين

تفوق الشمال الشرقي عن باقي الأقاليم نسبيا في عدد المجندين من الرماة الجزائريين المنتمين لسلك المشاة، بينما تفوق الشمال الغربي في عدد الأفواج، ويؤكد الباحث والعسكري الفرنسي انطوني كلايتون أن أصول المجندين في فرق الرماة تعود بوجه عام إلى بلاد القبائل والأطلس التلي (Anthony Clayton, 1994:303).

يبقى ذلك التحديد في حاجة إلى تدقيق أكثر، فـسلسلة الأطلس التلي تمتد من الشمال الغربي إلى الشمال الشرقي إذن فهي ليست شرقية فقط كما يوحي لنا الباحث المذكور، وبلاد القبائل تمتد في عمالتين هما

الأولى و الثالثة، وتنقسم بدورها إلى قسمين، القبائل الصغرى: بجاية وما حولها وتنتمي إداريا آنذاك إلى العمالة الثالثة أي قسنطينة في الإقليم الشمالي الشرقي بينما القسم الثاني، القبائل الكبرى: تيزي وزو وما حولها ينتمي إداريا إلى العمالة الأولى أي الجزائر في الإقليم الأوسط بمعنى آخر لا شرق ولا غرب.

مما سبق يمكن أن نستنتج أن القاسم المشترك بين المنطقتين من حيث التوصيف هو أن كلاهما منطقة جبلية وعرة التضاريس، ظروف الحياة فيها صعبة للغاية، فانعكست خصائصها الطبيعية على طباع سكانها وهياتهم للعمل العسكري الشاق، كما يقول الرحالة المقدسي عن تأثير «البقاع في الطباع».

تمثلت مراكز تجنيد الرماة في الشرق في مدن قسنطينة وعنابة وسطيف وتلازمة (خاصة الأفواج 3 و 19 و 7 و 11)، أما في الوسط فأهم مراكز التجنيد كانت الجزائر والبليدة و الحراش وحسين داي والقليلة ودلس (خاصة الأفواج 1 و 5 و 22 و 29)، أما مراكز التجنيد الرئيسية في الغرب كانت مدن وهران و مستغانم وتلمسان والأصنام (السلف) ومليانة وغيليزان و تيارت (خاصة الأفواج 2 و 10 و 6 و 9 و 14 و 21)، وفي هوامش الصحراء كان هناك مركزين مشهورين لتجنيد الرماة يقعان في مدينتي بركة والاغواط (خاصة الفوجين 7 و 17)، مما سبق ذكره يبدو أن الشرق تساوى مع الوسط بعدد 4 أفواج وتفوق عنهما الغرب بعدد 6 أفواج، في حين لم يقدم شمال الصحراء سوى فوجين (de FLEURIAN, 2017).

بالنسبة للأفواج المتبقية فبعضها تأسس في الجزائر ثم تطور واستكمل تشكيلته خارج الجزائر والبعض الآخر تشكّل و تطوّر أصلا خارج الجزائر، لكن الثابت أن قوام هذه الأفواج الكثير من المهاجرين الجزائريين إلى جانب باقي المجندين التونسيين والمغاربة والأوربيين وغيرهم.

في بلاد الشام تشكّلت و/أو تطوّرت في الفترة بين 1920-1946، ثمانية أفواج من الرماة الجزائريين هي: 17 و 18 و 19 و 21 و 22 و 27 و 29 و 47، وفي المغرب الأقصى تشكّلت و/أو تطوّرت في الفترة بين 1912-1946 تسعة أفواج هي: 13 و 14 و 15 و 23

و25 و29 و31 و35 و39، وفي الهند- الصينية تشكّلت و/أو تطوّرت في الفترة بين 1946- 1954 أربعة أفواج هي: 21 و22 و23 و27، وفي أوروبا (خاصة فرنسا وألمانيا) تشكّلت و/أو تطوّرت خلال الفترة بين 1939- 1945 أربعة أفواج هي: 26 و33 و35 و43(*) . كما شهدت باقي فرق الفرق من سلاح المشاة و الأسلحة الأخرى وفرق الخدمات العسكرية و شبه العسكرية في شمال إفريقيا و أوروبا و الشام تغيرات و تطوّرات مختلفة في تعدادها وتنظيمها ومناطق نشاطها، دائما وفقا لما تقتضيه مصالح فرنسا.

لقد كان تجنيد الجزائريين في بداية الاحتلال مفتوح للراغبين في الانضمام طوعية مقابل اجر معلوم ومنذ البداية أيضا شغلت مسألة تجنيد الجزائريين مختلف الأوساط الفرنسية لاسيما العسكرية منها والسياسية والإعلامية، بدأ النقاش حول هذه المسألة منذ منتصف القرن 19 م وحتى بلغ عدد المشاريع المقترحة في هذا الصدد ثمانية مشاريع تاسعها مشروع ميسيمي نسبة إلى صاحبه أدولف ميسيمي، وقد كان من أكثر المشاريع إثارة للجدل والتجاذبات والنقاشات لأنه جاء في ظرف كان يجب فيه الفصل بين تجنيد الجزائريين عن طريق الاستدعاء لأداء الخدمة العسكرية إجباريا أو الاقتصار فقط على فتح المجال أمام الراغبين في الالتحاق طوعية كعاملين متعاقدين مع الجيش الفرنسي.

لقد كان ميسيمي يردد دائما ان الجزائري خزان بشري هائل قوامه 4,5 مليون نسمة بإمكانه تقديم 100 ألف مجند بدلا من 17 ألف التي قدّمتها سنة 1908، مع العلم أنه غير بعيد عن الجزائر، تونس قدّمت 18 ألف في حين تعداد سكانها لا يتجاوز 1,8 مليون نسمة في نفس الفترة (Sebe, 1912:30-31).

بعد نقاشات حادة في البرلمان وفي اللقاءات الرسمية و غير الرسمية التي نشّطها السياسيون و العسكريون على حد السواء، بالإضافة إلى جملة المقالات والتقارير الصحفية التي اتخذت من موضوع التجنيد مادة حيوية خصبة لإنعاش خطها واستقطاب القراء، صدر المرسوم الخاص بتجنيد سكان مستعمرة الجزائر تحت رقم 3668 في الجريدة الرسمية الفرنسية ليوم 7 فيفري 1912، كما

نشرته أيضا بعض الصحف "الجزائرية" والفرنسية (بلحاج، 2004: 40-1).

انقسم المرسوم إلى أربع أقسام كبرى تفرّع منها ثمانية فصول، مجموع موادها ثلاثون مادة، 23 منها محتواة في القسم الثالث: من المادة 3 إلى المادة 26 وهي المواد التي تهمنها في موضوع الدراسة. في أسفل المرسوم توقيع رئيس الجمهورية أرمان فاليار، مرفوق بإمضاءات وزير الحرب ألكسندر ميليران ووزير المالية لويس لوسيان كلوتر ووزير الداخلية تيودور ستيغ.

يحمل القسم الثالث- الذي يهمنها- عنوان: الاستدعاء وتندرج تحته 8 فصول هي بالترتيب:

أحكام عامة- الإغفاء - التأجيل - الاستثناء - القرعة و تحضير وعاء التجنيد- الاستبدال- الإلحاق-الرواتب و المنح-أحكام جزائية (بلحاج، 2004: 40-1).

مثلما تنوعت وتعددت الأطروحات و المبادرات كذلك تعددت وتنوعت المواقف وردود الأفعال، بالنسبة للمستوطنين لم يكن انضمام الجزائريين للجيش الفرنسي يثير أي إشكال مادام عملهم كأى عمل يقابله اجر معين أو إجازة وكفى، إذن متى بدأ التخوف و التوجس من التحاق الجزائري بالجيش الفرنسي؟ بالضبط عندما بدأت فكرة تعميم الخدمة العسكرية الإجبارية على الجزائريين وما يتبع واجب الإكراه من حقوق مواطنة تتيح المساواة و بالأخص إمكانية انتزاع الجنسية الفرنسية!

تلك هي النتيجة الخطيرة التي هددت وجود المستوطنين في الصميم باعتبار أن حيازة "الأهلي" على حقوق المواطنة تفتح له العديد من الأبواب ليزاحم المستوطن ويقلل من حظوظه إذا لم يعدمها في حالة أي استحقاق انتخابي إذا ما جرى ذلك في أجواء ديمقراطية بحكم الأغلبية العددية للسكان الأصليين، ففي آخر إحصاء عام 1910 بلغ إجمالي سكان الجزائر أكثر من 5,5 مليون نسمة، منهم 4,7 مليون جزائري وحوالي 0,8 مليون أوروبي (M.A.E:17)، بناء على ذلك، بعملية حسابية بسيطة، المسألة محسومة مسبقا لأهل البلد !

في الأخير نجح السياسيون في إصدار مرسوم 3 فيفري 1912 دون تمريره على البرلمان ودخل حيّز التنفيذ في نفس السنة، المؤيدون نالوا مبتغاهم والمعارضون تم وضعهم أمام الأمر الواقع .
على المستوى الشعبي لم يكن التجنيد موضع رضا اجتماعي أو استحسان أخلاقي خاصة في شق الانخراط الطوعي، على الرغم من ضغط الإغراء المادي الذي اكتسبه الانضمام للجيش الفرنسي، أما التجنيد الإجباري، بكل يقين كان مستهجنًا فكل ما هو قسري يتبعه تلقائيًا العزوف والرفض. لم يحظ التجنيد الإجباري بقبول وسط السكان الجزائريين خاصة الفلاحين الذي صودرت ممتلكاتهم ثم أفتك منهم أبنائهم أيضًا، كان رفضا متعدد الأشكال سوى من جانب العائلات أو من جانب المجندين أنفسهم ومن ابرز مظاهر ذلك الرفض ما يلي:

- الثورات أو الانتفاضات،

- إرسال العرائض و الوفود،

- التجمّعات و المظاهرات،

- الهجرة إلى الجبال أو إلى الخارج،

- التشويه الذاتي أو بتر احد الأطراف .

إما على مستوى النخبة الجزائرية، فالمحافظون رفضوا التجنيد من حيث المبدأ نظرا لما فيه من خضوع للكافر واكتساب لبعض عاداته وإرغام للمجندين على محاربة أبناء بلدهم أو إخوانهم العرب والمسلمين في بلدان أخرى.

بالنسبة لتيار الشبان الجزائريين فقد أيدوا مسألة التجنيد باعتبارها مدخل أو بوابة للولوج والذوبان في المجتمع والحضارة الفرنسية، أي تحقيق الإدماج الذي هو مطلبهم الأساسي، ولو أن بعضهم اشترط المحافظة على الأحوال الشخصية للمسلمين الجزائريين.

على الرغم من تلك المواقف المتباينة كانت المحصلة النهائية للمسار العسير للمرسوم هو الاعتماد والتنفيذ والبدء في عمليات الإحصاء و استدعاء الكتلة القابلة للتجنيد والشروع بعدها مباشرة في توظيف المجندين الجدد محليا أولا و إشراكهم في الحملة على المغرب الأقصى ثانيا.

الخاتمة

مرت عمليات التجنيد وهيكلية المجندين بمراحل عدة بدأ بعرض مشاريع قانونية التي كانت محل نقاشات و تجاذبات منذ دخول الفرنسيين إلى بداية القرن العشرين، في أوساط السياسيين والعسكريين على حد سواء و في أروقة الحكومة المركزية الفرنسية أو داخل الحكومة العامة بالجزائر، علاوة على ما صاحب ذلك من زخم إعلامي تأرجح بين معارضة و تأييد مبدأ تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي. أكد السياسيون خصوصا وعلى رأسهم الوزير ميسي على أهمية مبدأ تجنيد الجزائريين و رافع في كل المنابر لإقناع المعارضين والمتريدين لتوضيح ما سوف تجنيه فرنسا من مكاسب مادية ومعنوية من وراء تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي، ونجح في تمرير مشروعه ليصبح أمرا واقعا يتيح لفرنسا، بالإضافة للمجندين بالتعاقد، الاستفادة من وعاء تجنيد اكبر عن طريق الاستدعاء؛ تمت بذلك شرعة التجنيد بشكل مستعجل تحسبا لمواجهة ما كانت تشهده أوروبا من توتر واحتقان جرّ الدول الكبرى إلى الحرب العالمية الأولى التي كان فيها للمجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي مشاركة مميزة.

كان السياسيون يخشون بأن يطالب المجندون بالمواطنة مقابل ضريبة الدم التي سيدفعونها، والعسكريون يخشون انقلاب المجندين عليهم بعد تكوينهم و تدريبهم ثم تسليحهم، فيما كان المعمرون الفرنسيون و الأوروبيون في الجزائر يتوجسون مما سيترتب عن التجنيد من تقلب لحجم العمالة في الحرف التي يمارسها الأهالي؛ أما الأهالي من الجزائريين فقد كان أغلبهم يعارض التجنيد ويخاف على مصير أبنائه من الموت والضياع والتشوّ الأخلاقي الناتج عن الاحتكاك بالأجنبي، علاوة على ما يتركه المجندين لأهاليهم من فراغ عاطفي و نقص في اليد العاملة الزراعية و الرعوية والحرفية التي كانت عائدات عملها تمثل الدخل الرئيسي لأسرها.

قائمة المراجع و المصادر:

- 1- ابو يعلى الزواوي. (2005). تاريخ الزواوة. الجزائر: منشورات وزارة الثقافة.
- 2- محمد بجاوي. (2005). المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1900. الجزائر: مخطوط.
- 3- ناصر، بالحاج(2004-2005)، مواقف الجزائريين من التجنيد الإجباري(1916 -1912)، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للاداب والعلوم الإنسانية، الجزائر.
- 4-Auteur Inconnu. (1920).2éme Spahis Historique du Régiment, Sme, Imp du petit Tlémcenien, p.1-18
- 5-Anthony Clayton. (1994).Histoire de l'Armée Française en Afrique. Paris: Albin Michel
- 6-B Seignol. (2016). Historique du 3e Régiment de Spahis Algériens de 1892 a 1923. Paris: Imprimerie Berger-Levrault
- 7-Paul De Ladrière. (SD) Coup d'œil sur l'Armée d'Afrique, Paris, SD, Paris: Imp militaire, plaine st pierre.
- 8-Questions Relatives aux Soldats Maghrébins, Série Afrique, Dossier1 S-D41, M.A.E.
- 9- <http://www.les-tirailleurs.fr/documents/liste/>

لإحالة على هذا المقال:

- الطاهر سبقاق، (2021)، « مجندون جزائريون في الجيش الفرنسي بين الإكراهات القانونية والحاجات الاقتصادية». المواقف، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص. 891-876